# جذور أدب المقاومة في شعر أحمد شوقي

**الأستاذ المشارك الدكتور**
**جواد سعدون زادة**
**جمهورية إيران الإسلامية**
**جامعة شهيد تشمران الأهواز- كلية الالهيات والمعارف الاسلامية - قسم اللغة العربية وآدابها**
**dr.sadounzadeh@gmail.com**

# The roots of the literature of resistance in the poetry of Ahmed Shawqi

**Dr. javad sadounzadeh**
Associate Professor at Shahid Chamran University Ahwaz College of Humanities and Islamic Knowledge
Department of Arabic Language and Literature – Iran

**الملخص:-**

لم يكن عند العرب شاعر أكثر نتاجاً من شوقي، أصبحت مصر به سيدة العالم العربي في الشعر ولم تذكر قديماً في الأدب إلاّ بالنكتة والرقة وصناعات بديعية ملفّقة ولم يستفض لها ذكر بنابغة و لا عبقري. ففي هذا المقال تناولنا شعره السياسي واساطعنا أن نكشف جذور المقاومة في شعره.

كان لشوقي مناضلة أمام الاحتلال فنراه طالما عبّر عن بغضه للاحتلال، أشاد بالجهاد، وحث على الثورة للتحرر و فخوراً بعزّ مصر.

**الكلمات الدليلية:** السياسة - مصر - احمد شوقي - المقاومة - الشعر.

**Abstract:-**

The Arabs did not have a more productive poet than Shawki. Egypt became the Arab world's master of poetry. She did not mention ancient literature except in the form of softness and fabricated fabrications, and she was not mentioned in fiction or genius. In this article we discussed his political poetry and our simplicity to reveal the roots of resistance in his poetry.

Shukhi was a fighter in front of the occupation and he saw him as long as he expressed his dislike for the occupation. He praised jihad and urged the revolution to be liberated and proud of Egypt's pride.

**Keywords:-** politics, Egypt, Ahmed Shawky, resistance, poetry.

**المقدمـة**:

خلافاً لما هو معرف أنّ أحمد شوقي مهما تعلّق بالبلاط و رجاله، لم ينس رسالته السّامية في الدّفاع عن وطنه و شعبه إزاءَ المستعمر و المحتل لبلاده. لا شك أنّ الصلّة الّتي كانت تربطه برجال الحكم، جعلته يأخذ بجانب الحذر والتحفّظ، غير مجاهرٍ بما يكمن من عداء و شجب للاحتلال ومسبّبيه. لكن هذه الحيطة والتّريث لم يفوّتا عليه الواجب الوطني للمقاومة ضدّ الأعداءِ لأبناء أمّته، فضمّن شوقي بلباقة شعره معاني، تعتبر جذوراً لأدب المقاومة و ذلك ما نراه في هذه الدراسة من شعره.

**مولده و نشأته**:

ولد أحمد شوقي في القاهرة سنة ١٨٦٨م، و قد امتزجت في دمه عناصر ثلاثة هي العربية والتركية واليونانية، وفي الرابعة من عمره ألحق بكتّاب الشيخ الصالح حيث قضي أربع سنوات حافلة بالخشونة ثمّ إلى مدرسة ((المبتديان)) الابتدائية ثم إلى ((التجهيزية))، ثمّ انتقل التحق بمدرسة الحقوق وبعد سنتين تركها والتحقق بقسم الترجمة حيث أتقن الفرنسية ونال الإجازة، وقد عطف عليه الخديوي توفيق عطفاً خاصّاً فعين أباه مفتشاً في الخاصّة الخديوية وعيّنه هو من بعده، و في سنة ١٨٨٧م أرسله إلى جامعة ((مونبلية)) بفرنسة لإتمام دراسة الحقوق والآداب. وفي سنة ١٨٩١م عاد إلى مصر بعد اطلاع واسع على الحضارة الأوروبية والآداب العالمية. (فاخوري، حنا، ج٤، ٢٠٠٣م، ص٤٨٦ و ضيف، شوقي، بلاتا، صص ١٠ - ١٤ وخفاجي، عبدالمنعم، بلاتا، ص١٦١)

ولما رجع شوقي إلى مصر كان الخديوي توفيق قد توفّي تاركاً الإمارة لابنه عبّاس حلمي، فقرّبه إليه وأسند إليه القلم الإفرنجي و ازدادت أواصر الصداقة بينه وبين الخديوي، وأصبح شاعر الأمير و كلمته. (فاخوري، حنا، الأدب الحديث، ١٩٩٥، صص ٤٣٦ و ٤٣٧).

وفي عام ١٨٩٤م انتدبه الخديوي لتمثيل مصر في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عقد في جنيف، فألقي أمام المؤتمر قصيدته الطويلة الشهيرة ((كبار الحوادث في وادي النيل)) عرّض فيها لتأريخ تطور الحضارة المصرية منذ أيام الفراعنة حتى ظهور الإسلام.

وفي عام ١٨٩٨م ظهرت الطبعة الأولى من ((الشوقيات)) متضمّنه القصائد التي نظمها الشاعر خلال الفترة الواقعة بين ١٨٨٨ و ١٨٩٨م. (المصدر نفسه، ص٤٣٧)

ومع بداية القرن العشرين كان شوقي قد بلغ قمة الشهرة في شتي أرجاء العالم العربي، وصار يلقّب بأمير الشعراء تمجيداً لموهبته و نبوغه.

وبين عامي ١٩٠٤ و ١٩٠٥م وضع أحمد شوقي قصّة نثرية طويلة عنوانها ((عذراء الهند)) نشرت مسلسلة في جريدة ((الأهرام)). كما كتب أيضاً في تلك الفترة أربع قصص أخرى هي ((دلّ)) و ((تيمان)) و ((لادياس)) و ((بنتاءور)).

وبعد وفاة مصطفي كامل سنة ١٩٠٨م ساءت العلاقة بين الشاعر والقوي الوطنية نتيجة وقوفه إلى جانب الخديوي عباس والدفاع عن سياسته في مهادنة الإنكليز وتنكرّه للقوي التي كانت تنادي في ذلك الوقت بالدستور و تحقيق الجلاء والاستقلال عن بريطانيا. هذا فضلاً عن عشرات الأبيات التي كان يكتبها في ((المؤيد)) ويسخر فيها من أحمد عرابي والعرابيين بدون توقيع. (المصدر نفسه، ص٤٣٨)

**شاعر المنفى:**

عندما ما نشبت الحرب العالمية الأولى وخُلع عباس عن عرش مصر نُفي شاعره فاختار ((برشلونة)) في إسبانية مقرّاً له، فانقطع إلى الدرس والمطالعة والسفر، وقد زار جزر الباليار والأندلس، و نظم قصائد رائعة حافلة بالنبض الوجداني والحنين إلى المصر، و قد عارض نونية ابن زيدون وسينية البحتري، وأوحت له اشبيلية برواية ((أميرة الأندلس)). (الفاخوري، حنا،ج٤، ٢٠٠٣م، ص٤٨٧)

ولما خمدت نيران الحرب سُمح لأحمد شوقي بالرجوع إلى مصر فاحتشدت الجماهير الغفيرة لاستقباله، وكان المشهد رائعاً و شديد التأثير. (الفاخوري، حنا، ١٣٧٧هـ. ش، ص٩٧٤)

**شاعر الشعب:**

بعد عودته إلى مصر تفرّغ لشعره و احتك بالشعب فتحسّس آماله و آلامه، و وجد أن هذا الشعب قد تنبّه لشخصيته و ناضل في سبيل تحرّره فراح يواكبه بشعره كما راح يواكب العالم العربيّ كلّه في شتّي تقلّباته، و في شتي مراحل نضاله من أجل الحرية والسير في طريق العزّة و الكرامة. و قد سجّل كل ذلك في قصائد خالدة كالتي نظمها في ذكرى ١٣

نوفمبر، و في نكبة دمشق. (فاخوري، حنا، ج٤، ٢٠٠٣م، ص٤٨٧)

وفي سنة ١٩٢٧م أقيم لأحمد شوقي مهرجان تكريم في دار الأوبرا بالقاهرة حضرته وفود من جميع الأقطار العربية، وقد بايعه الجميع بإمارة الشعر ونطق باسمهم جميعاً شاعر النيل حافظ إبراهيم قائلاً:

أمـــير القـــوافي قـــد أتيـــتُ مبايعـــاً وهـــذي وُفـــودُ الشـــرقِ قـــد بايعَـــت مَعـــي

(المصدر نفسه، ج٤، ص٤٨٨)

## أخلاقه ووفاته:

في المرحلة الأخيرة من حياته كان أحمد شوقي يقوم بأسفار إلى أروبة، و كان في باريس يتردّد على الكوميدي فرانسيز و يعالج فن المسرح الشعري، كما كان يؤثر الاصطياف في لبنان متمتّعاً بجمال أرضه و سمائه. و ظلّ كذلك إلى أن توفّاه الله في ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٣٢م. فكان لوفاته أثر بالغ في النفوس. وضجّت البلاد العربية بالخبر، وتسارع الشعراء إلى رثائه. والكتاب ورجال الصحافة إلى الإشادة بفضله والاعتراف بعبقريّته. (البستاني، بطرس، بلاتا، ص٢٧٤)

كان أحمد شوقي رجل الحياة يحبّها ويتهالك على مُتَعها، وكان كريم اليد، يميل إلى مساعدة ذوي الحاجات، ولئن تقلّب في سياسته، فإنّه كان في أعماقه ابن مصر البارّ، وابن الشرق العربي في غير استثناء، يريدُ لبلاده عزّةً و تحرّراً من كلّ قيد، ويريد للشرق تقدّماً سريعاً في سبيل الحضارة و الانفتاح، ولئن كان سريع الملل من الأصدقاء، سريع التقلب والغضب، فإنّه كان طيب المعشر، سريع الرضي، ولئن كان شديد التطير والجزع من المرض فإنّه كان إنسانياً إلى أقصى حدود الإنسانية، يدعو إلى نبذ الأحقاد، ونشر لواء السلام، والتسامح في معاملة الناس، والارتفاع عن مقابح الأخلاق السيئة، والابتعاد عن النزوات القبليّة وصراعات المذاهب المختلفة. (الفاخوري، حنا، الأدب الحديث، ١٩٩٥م، صص ٤٣٩ و ٤٤٠).

## شاعرية شوقي:

ولد شوقي و فيه من المؤهلات الشعرية ما كان كفيلاً بإيصاله إلى إمارة الشعر غير مدافع. فقد توفرت له عناصر العبقرية من أصوله الثلاثة فكان له تكثيف العناصر الإنسانية في نفسه.

وكان له من المواهب الطبيعية خير حافظ على تسنم ذري الشعر، فهناك ذاكرة فريدة وهناك خيال فسيح وهناك حس مرهف وهناك نفس طماحة تأبي عليه. (الفاخوري، حنا، ١٣٧٧هـ.ش، ص٩٧٠)

وقد كان شوقي لا يهمه الشعر الوجداني ولا أصحابه قبل ذهابه إلى الأندلس، كانت أكثر صلته بالمتنبي أهم شعراء المديح بين العرب السابقين. (ضيف، شوقي، بلاتا، ص٣٤)

وبدأ الذوق الشعري يتولد في شوقي وهو حدث، وسألت مجلة الهلال الشوقي: كيف بدأ النظم؟ فقال: ((نظمت الشعر وأنا طفلٌ، وكنت يومئذٍ أخطئ وأهذي، وأتعثر ككل صاحب خيال طفل ولكني لم ألبث أن تعلمت العربية على أستاذ نابغة هو المرحوم المرصفي صاحب الوسيلة، حتى استقام ليِ ميزان الشعر بين العشرين والخامسة العشرين)). (البستاني، بطرس، بلاتا، ص٢٧٤)

وقد يكون للعنصر وللدم دخل في توجيه شاعريته الشاعر، وتكون عقلية وكذلك البيئة والثقافات التي حصّلها، وسمو منزلة الأدب ورفعة مكانة الأدباء في عصره، وتلمذته على أئمة الأدباء وعلى شعر البارودي.

وشوقي شديد الإكباب على قراءة الكتب عامة، وكتب الأدب والشعر خاصة. ومن أعظم من عني بقراءة دواوينهم واستظهار أشعارهم، وإنتاج طرائفهم، ومباراتهم في منازعهم، أبو نواس وأبو تمام والبحتري، والمتنبي، وقد ظهر أثرهم على شعره، فكان أثر كل منهم فيه بيناً.

واطلع أحمد شوقي على الآداب الغربية ولاسيمّا اللغة الفرنسية، فأراد التشبّه بلا فونتين في أمثاله، وبموسية في صراحته المؤلمة وبكورنية في بعض النواحي من رواياتها التمثيلية. (الفاخوري، حنا، ١٣٧٧هـ.ش، ص٩٧٥)

وعاش شوقي في عصر مليء بالحوادث السياسية الخطيرة فكان في شعره صدى عميق لمختلف السياسيات التي تتجاذب القطر المصري والأقطار العربية. (المصدر نفسه، ١٣٧٧هـ.ش، ص٩٧٦)

وكذلك من العوامل التي لها أثر واضح في شاعرية شوقي نشأته في بيت الملك ومقامه

في بطانة الأمراء، و دخوله في أدق الأسباب السياسية في مصر.

وأيضاً سياحاته الكثيرة في بلاد الغرب وفي بلاد الشرق القريب وكل هذا كان له أثره في شعره و شاعريته. (الخفاجي، محمد عبدالمنعم، بلاتا، ص١٦٤)

وهو كان ينظم الشعر في كل مكان و زمان، جالساً أو ماشياً، وحده أو مع الناس، وأشد ما يكون ارتياحاً إلى النظم بعد منتصف الليل.

وكان سريع الخاطر، ربّما أتم القصيدة في ساعة، تحدث كاتبه أنه نظم قصيدة النيل في ليلة واحدة و هي تربي على خمسين بيتاً و مائة.

وكان قوي الذاكرة، يحفظ شعره ولا يمليه على كاتبه إلاّ جملة أبيات غير ناس شيئاً منها. (البستاني، بطرس، بلاتا، ص٢٧٧)

فالثقافة الواسعة التي تثقف بها شوقي، والسياحات الطويلة التي وسعت معارفه الاجتماعية و الأحوال السياسية التي تقلب فيها، و مواهبه الشعرية و طموحه إلى مجاراة كل ما نظمه الشعراء قدماؤهم و محدثوهم، ثم ميله إلى الزلفي، كل ذلك جعل من الرجل شخصية مزدوجة معقّدة تتأرجح حائرة في سبل السياسة. (الفاخوري، حنا، ١٣٧٧هـ.ش، ص٩٧٦).

**آثـــاره:**

لم يكن عند العرب شاعر أكثر نتاجاً من شوقي، فقد انتظم له ديوان مطبوع، في الثلاثين من عمره، ومات وهو على أشد ما يكون نشاطاً إلى العمل، فكانت أواخر سنيه أحضب أيام حياته، ولم تقتصر، آثاره على الشعر، و قد طبع معظمها و بقي أقلها لم يطبع. (البستاني، بطرس، بلاتا، ص٦٥)

أصبحت مصر به سيدة العالم العربي في الشعر و لم تذكر قديماً في الأدب إلاّ بالنكته والرقة و صناعات بديعية ملفّقة و لم يستفض لها ذكر بنابغة و لا عبقري. (الرافعي، صادق مصطفي، ١٩٣٢م، ص٢٩٥)

أ- الشوقيات: : يقع في أربعة أجزاء من القطع الكبير، يبدأ الجزء الأول من ((الشوقيات)) و به مقدمة الدكتور هيكل. (مبارك، زكي، ١٩٩٦م، ص٣٣)

ويشتمل على منظومات الشاعر في القرن الماضي و قد مهد له شوقي بمقدمة في الشعر والشعرء ضمّنها أيضاً سيرة حياته، فاتحة الشوقيات هي قصيدة شوقي عن كبار الحوادث في وادي النيل، و هي قصيدة طويلة سجل بها الشاعر ما كان لمصر من تحليق و إسفاف في أعوام تزيد على خمسة آلاف.

وأهم قصيدة في الجزء الأول من الشوقيات ((نهج البردة)) و قصيدة ((الأندلس الجديدة)). (المصدر نفسه، ١٩٩٦م، ص٣٨)

أمّا الجزء الثاني فيتناول الوصف و النسيب و متفرقات في التأريخ و السياسة والاجتماع وقصائد من ديوان القديم. و في هذا الجزء نرى قصائد فرنسية و قصائد تركية ومصرية وقصائد سورية ولبنانية و قصائد وصف بها عواطفه الصحاح نحو فرنسة وتركية ومصر وسورية ولبنان قصائد تقيم أصح البراهين على أن ((شوقي)) أحب جميع ما عرف من الناس. (الفاخوري، حنا، ١٣٧٧هـ.ش، ص٩٧٦)

والجزء الثالث يختص بالمراثي والجزء الرابع قسم إلى أبواب أوّلها متفرقات في السياسة والتأريخ والاجتماع، والثاني الخصوصيات و الثالث في الحكايات على لسان الحيوان نحو ستين حكاية و الرابع ديوان الأطفال، أناشيد للناشئة والخامس من شعر الصبا وفيه بعض مدائحه في الأمير عباس و السادس محجوبيات وهي ما نظمه في صديقه الدكتور محجوب ثابت.

ب- كتاب ((دول العرب وعظماء الإسلام)): معظمه أراجيز مزدوجات التزم فيها من القوافي ما لا يلزم)). (البستاني، بطرس، بلاتا، ص٢٧٨)

ج- روايات تمثيلية: تشمل مصرع كلوباترا، مجنون ليلي، قمبيز و على بك الكبير و عنترة، الست هدي. (الفاخوري، حنا، ١٣٧٧هـ.ش، ص٩٧٧)

**النثر:**

أ: له ثلاث روايات: عذراء الهند، لا دياس أواخر الفراعنة، و رقة الآس.

ب: مسرحية واحدة: أميرة الأندلس.

ج: أسواق الذهب استوحي شوقي هذا الاسم من أطواق الذهب للزمخشري و أطباق الذهب للأصبهاني): فهي المقالات الاجتماعية في مختلف الموضوعات كالحرية، والوطن، وقناة السويس، والأهرام والموت، والجندي المجهول،... وقد ذيلت بطائفة من العبر والحكم القصيرة، استقاها شوقي من حياته الشخصية. (المصدر نفسه، ١٣٧٧هـ.ش، ص٩٧٧)

**السياسة و شعره:**

فكانت حياة شوقي كلّها سياسية و لدي هذا الشاعر اتجاهات سياسية.

كان شوقي شاعر القصر و تأثّر بعدّة عوامل بعضها شخصيته و بعضها سياسية و قد أورد عمر الدسوقي بأنّ: ((أمّا شوقي فكان شاعر القصر و كان القصر متحفظاً في مجاهرته بالعداءِ للإنجليز، يساعد الوطنيين سراً، ولكن لا يريد أن يظهر حتى لا يتمسك عليه المحتل الغشوم بشيء فسيقطه عن عرشه، وهو صاحب الحول و الطول و الجيش المحتل، المدجج بالسلاح، و كثيراً ما اصطدم بكرومر، ولكن الكلمة الغالبة و الرأي النافذ كانا في آخر الأمر لممثل الاحتلال. و ظلت علاقته بكرومر سيئة حتى بعد أن انفصل عن الحركة الوطنية إلى أن ترك كرومر مصر.)) (الدسوقي، عمر، ج٢، ١٩٦٣م، ص٦٤)

كما ورد في كتاب (الجامع في تأريخ الأدب العربي): ((ثمّ اضطرّ إلى مهادنة الاحتلال، واضطرّ شاعره أن يتمشّي وسياسة القصر، فيتغافل عن الإنجليز وسياستهم، ولم يجهر بآرائه السياسية، وظلّ كذلك إلى يوم غادر كرومر مصر وودّع إسماعيل بكلام قبيح، فنظم لاميته المشهورة وردّ على كرومر بكثير من الألم والاشمئزاز، وبكثير من المداراة المشحونة بالنقمة)). (الفاخوري، حنا، الأدب الحديث، ١٩٩٥م، ص٤٤٣)

قال شوقي:

| | |
|---|---|
| ايـــامكم أم عهـــد اسمـــاعيلا؟ | أم أنـــت فرعـــون يســـوس النـــيلا؟ |
| أم حـــاكم في أرض مصـــر بـــأمره | لا ســـائلاً أبـــداً و لا مســـؤولا؟ |
| يـــا مالكـــاً رقّ الرقـــاب ببأســـه | هـــلاّ اتخـــذت إلى القلـــوب ســـبيلا؟ |
| لّمـــا رحلـــتَ عـــن الـــبلاد تشـــهدت | فكأنّـــك الـــدّاءُ العيـــاءُ رحـــيلا |

أو ســـعتنا يـــومَ الـــوداع إهانـــةً ... أدبٌ لعمـــرك لا يصـــيبُ مثـــيلا

هـــلاّ بـــدالك أن تجامـــل بعـــدما ... صـــاغَ الـــرئيس لـــك الثنـــاء إكلـــيلا

أنظـــر إلى أدب الـــرئيس ولطفـــه ... تجـــد الـــرئيس مهـــذّبـــاً و نبـــيلا

(شوقي، أحمد، ج١، ١٩٩٦م، ص١٧٣)

ويقول الفاخوري: ((وهكذا اذا رحنا نتتبّع أحمد شوقي إبّان الاحتلال نجده متأثراً بسياسة القصر إذ ذاك، أي سياسة الحياد و الابتعاد عن كلّ ما يؤذي الإنكليز أو يبغضهم. فإذا رثي مصطفي كامل زعيم الحركة الوطنية تحاشى عن التعرّض لحركته السياسية التي أقضّت مضاجع الإنكليز، و إذا عرض لحركة عرابي و ثورته رأي فيهما إنكاراً للجميل وإساءة إلى مصر، وإذا خلع الإنكليز عباساً عن عرش مصر و ولّوا السلطان حسين كامل توجّه إليه بالتهنئة، وتناسى ((شاعر الأمير)) أميره خشية أن يلحقه الإنكليز به، ولكن ذلك لم ينقذه من يدهم، فهو شاعر عباس في نظرهم و قد قال في قصيدته التي هنّأ بها السلطان حسين كامل: ((إنّ الرواية لم تتمّ فصولاً)) فرأي الإنكليز في هذا القول نوايا مبطّنة، ودعوة إلى مقاومتهم في صبر و ترقّب، فنفوه من مصر و لم يعد إليها إلاّ في أواخر سنة ١٩١٩م)). (الأدب الحديث، ١٩٩٥م، ص٤٤٤)

إذا نظرنا إلى شعرائنا الذين اشتهروا في ذلك الوقت بعدة عوامل بعضها شخصية وبعضها سياسية و يقول عمر الدسوقي عن هذا الموضوع لأحمد شوقي: ((كان شوقي حبيساً في قفص من ذهب، صنعه له القصر، و كان بهذا و بحكم نشأته البعيدة عن الشعب وآماله وآلامه، وبحكم صلته بالقصر، وما تفرضه عليه هذه الصلة من اتباع سياسة الأمير... وهو لا يعرف من السياسية القومية الصحيحة إلاّ بمقدار ما يشعر به عباس، وتارةً يسمح له بالقول وتارةً يأبي عليه أن يجهر برأيه)). (١٩٦٣م، ص٩٥)

**آراؤه السياسية في الشعر:**

ولا حاجة إلى القول بأنّ شوقي كان محباً للحرية و في هذا الموضوع ذكر الفاخوري في كتابه بأنّ ((حبّ الحرية ... الذي تسرّب إلى نفس شوقي من تثقّفه على الغرب، الذي كانت تقتضيه وتدعو إليه الأحوال السياسية و الاجتماعية التي وُجد فيها، و قد أبدي شوقي حبّه للحرية في قصائده العديدة التي يعمل فيها على إنهاض الشبيبة أو يدعو إلى

استقلال مصر)). (ج٤، ١٩٩١م، ص٥٠٩)

وقد جاء في كتاب الأدب الحديث بأنّ شوقي تأثّر في رثائه بسياسة القصر حينذاك وهي سياسة التخفظ أمام كل ما يؤذي الإنجليز أو يغضبهم ومثلاً شوقي كلما اقترب في هذه القصيدة من الناحية السياسية كقوله:

هل قام قبلك في المدائن فاتح ... غاز بغير مهنّد وسنان

وبذلك يتخلص من السياسة قبل أن يتورط فيها، وإذا قاربها مرة أخرى في قوله:

أخلع على مصر شبابك غاليا ... والبس شباب الحورِ والولدان

فلعل مصراً من شبابك ترتدي ... مجداً تتيه به على البلدان

فلو أنّ بالهرمين من عزماته ... بعضَ المضاء تحرك الهرمان

علّمت شبانَ المدائن والقرى ... كيف الحياةُ تكون في الشبان

نراه يبتعد سريعاً عن السياسة و عما عساه أن يتورط فيه. (الدسوقي، عمر، ج٢، ١٩٦٣م، ص٦٤)

ومشاركة الشاعر في البحث والدعوة إلى الاستقلال والحرية في قوله يناجي مصطفي سنه ١٩٢٥م: ويقول:

أتذكر قبل هذا الجيل جيلا ... سهرنا عن معلّمهم ونامـا؟

مِهَارُ الحقّ بغّضنا إليهم ... شكيمَ القيصرية واللّجاما

لواؤك كان يسقيهم بجام ... وكان الشعر بين يدي جاما

من الوطنية استبقوا رحيقا ... فَضَضنا عن معتّقها الختاما

غرسنا كرمها فزكا أصولاً ... بكل قرارة وزكا مُداما

(شوقي، أحمد، ج١، ١٩٩٦م، ص٢٧٧)

و قال شوقي ضيف بأنّ: (( و هنا نتساءل: متي نشر شوقي رثاءه الأول لمصطفي كامل؟ ذهب بعض الذين كتبوا عن شوقي إلى أنه نشر رثاءه بعد عام كامل)). (بلاتا، ص١٤٥)

**شوقي و مصر:**

لقد أحبّ شوقي وطنه حبّاً عظيماً، و حنّ إليه حنيناً صادقاً أيام كان منفياً في الأندلس:

يـا سـاكني مصـر إنّـا لا نـزال علـى ... عهـد الوفـاء - وان غبنـا - مقيمينـا
هـلاّ بعثـتم لنـا مـن مـاء نهـركم ... شـيئاً نبـلّ بـه أحشـاء صـادينا
كـل المناهـل بعـد النيـل آسـنة ... مـا أبعـد النيـل إلاّ عـن أمانينـا

ولقد بلغت به عاطفته هذه إلى نوع من تقديس الوطن:

وطـني لـو شـغلت بالخلـد عنـه ... نـازعتني إليـه في الخلـد نفسـي

وما وقف الشعر على روائع الآثار المصرية من تماثيل وأحجار، ومدافن وخرائب يستوحيها مفاخر الجدود ويستلهمها عبرة للأحفاد، ما كلّ ذلك سوي صدي لنفس علقت أحلامها بوادي النيل القديم، فاحبّته في نهره ورماله، في هياكله وأهرامه... في حضارته وعلمائه الذين مدّنوا العالم. (الفاخوري، حنا، ١٣٧٧هـ.ش، ص٩٩١)

وحبّ الوطن عند الشاعر:

شوقي يحبّ مصر و يقول في سنة ١٩٠٤م:

أحبـك مصـر مـن أعمـاق قلـبي ... وحبـك في صـميم القلـب نـام
سـيجمعني بـك التـأريخ يومـاً ... إذا ظهـرَ الكـرامُ علـى اللئـام
لأجلـك رحـتُ بالـدنيا شـقيا ... أصـدُّ الوجـه والـدنيا أمـامي
وأنظـر جنـة جمعـت ذئابـا ... فيصـرفني الإبـاء عـن الزحـام
وهـبْتك غـير هيـابٍ يراعـا ... أشـدّ علـى العـدو مـن الحُسـام

(شوقي، أحمد، ج١، ١٩٩٦م، ص٢٦١)

**رأيه حيال المستعمرين الفرنسيين والبرطانيين:**

كان لشوقي مناضلة أمام الاحتلال يقول العقاد: شوقي كان يحس الوطنية كما يحسها المصري المتمصّر من طبقة الحاكمين أو المقربين إلى الحكومة... .

ونرى أنّ شوقي طالما عبّر عن بعضنة للاحتلال، أشاد بالجهاد، وحث على الثورة

للتحرر وفخوراً بعزّ مصر. (١٩٣٧م، ص١٨٤)

و قال في الشوقيات ((و قد تجلت بغضة شوقي للاحتلال مذ رزئت مصر باحتلال فهو ساخط على احتلال الهكسوس و الفرس و الرومان و الفرنسيين لمصر في قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل) التي ألقاها بالمؤتمر الشرقي بجنيف١٨٩٤م.)) (شوقي، أحمد، ١٩٩٦م، ج١، صص ٣-١٨ و ج٢، ص٢)

وأشار إلى توفيق و كانت قصيدته التي ألقاها في المؤتمر الشرقي في سبتمبر سنة ١٨٩٤م، و هو في ذلك الوقت موظّف بقصر إبنه عباس مقرب إليه فهو يقول: ((إنّ توفيقاً لم يكن أول من مهدّ الاحتلال البريطاني و لم يكن وحده الجاني، لأنّ المصريين شركاء له في جنايته و يدعو المصريين ألاّ يتلاوموا لأنّ الاحتلال شقاء أراده القضاء لمصر:

إنْ أتاهـــا فلـــيس فيهـــا بببـــادٍ ... أو جناهـــا الـــوري شـــركاء

أخطـــاء الأقربـــون موضـــعها الـــدا ... ني و فـــازت بنيلـــة البُعـــداء

لا يلـم بعضـكم علـى الخطـب بعضـا ... أيهـــا القـــوم كلكـــم أبريـــاء

ضلـــّة زانهـــا الشـــقاء لمصـــر ... ومـــن الـــذنب يجـــي الشـــقاء

(المصدر نفسه، ج١، ص١٩)

و كان شوقي يبغض الاحتلال، و يحقّر من يمتدحه أو يرضاه و إنّه كان في خطبته خطباً على مصر و يهيب بالشباب لينهضوا إلى مقاومة الاحتلال.

ومن هذه القصيدة

غمـــرتَ القـــوم إطـــراءً و حمـــدا ... و هـــم غمـــروك بـــالنعم الجســـام

رأوا بـــالأمس أنفـــك في الثريـــا ... فكيـــف اليـــوم أصـــبح في الرغـــام

أمـــا و الله مـــا علمـــوك إلا ... صـــغيراً في ولائـــك و الخصـــام

لهجـــت بـــالاحتلال و مـــا أتـــاه ... وجُرحـــك منـــه لـــو أحسســـت دام

خطبـــت علـــى الشـــبيبة غـــير دار ... بأنـــك مـــن مشـــيبك في منـــام

أراعـــك مقتـــلٌ مـــن مصـــر بـــاقٍ ... فقمـــتَ تزيـــد ســـهماً في الســـهام؟

وهـــل تركـــتْ لـــك الســـبعون عقـــلا ... لعرفـــان الحـــلال مـــن الحـــرام؟
إذا الأحـــــلام في قـــــوم تولـــــت ... أتي الكـــــبر أفعـــــال الطـــــّغام
فيـــا تلـــك الليـــالي لا تعـــودي ... ويـــا زمـــن النفـــاق بـــلا ســـلام

(المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٩)

و أنذر بأنّ الاحتلال يمثل في مصر رواية لم تتم فصولها:

دَفـــَعتْ بنافيـــه الحـــوادث وانقضـــت ... إلا نتـــــائج بعـــــدها وذيـــــولا
وانقـــضّ ملعبـــه وشـــاهدُه علـــى ... أنّ الروايـــــة لم تـــــتم فصـــــولا

(المصدر نفسه، ج١، ص٢١٧)

فتألم شوقي من ضعف مصر وسوء أحوال الشرق العربي ويقول:

هـــل مـــن يـــداك علـــى المـــدارس أنهـــا ... تـــــذر العلـــــوم و تأخـــــذ الفتبـــــولا

(المصدر نفسه، ج١، ص٢١١)

في عهد المستعمرين و الاحتلال ضعف التعليم إلى حد النهاية و صار المصريون عاجزين عن صنع إبرة، وهم الذين بني آباؤهم الأهرام و المسلات في زمن لم تكن فيه روافع و آلات مسعفة، و في هذا المجال يقول أحمد شوقي:

و نيـــت خطـــا التعلـــيم بعـــد محمـــد ... و مشـــي الهوينـــا بعـــد اسمـــاعيلا
كانـــت لنـــا قـــدم إليـــه خفيفـــة ... و رمـــتْ بـــدنلوبٍ فكـــان الفـــيلا
حـــتى رأينـــا مصـــر تخطـــو إصـــبعاً ... في العلـــم إن مشـــت الممالـــك مـــيلا
تجـــد الـــذين بـــني المســـلة جـــدّهم ... لا يحســـــنون لإبـــــرة تشـــــكيلا
الجهـــل لا تحيـــا عليـــه جماعـــة ... كيـــف الحيـــاة علـــى يـــدي عـــزريلا؟

(المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٥)

## شوقي وطلب الاستقلال:

زار مصر سنة ١٩١٠م المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة فقدّم له شوقي قصيدة عتب بأمل أن يكسب عطف الرئيس الأمريكي لمصر، ليؤازر بنفوذه حقها في طلب الاستقلال، ثم تبين أنّ هذا الأمل سراب خادع، لأن الانجليز استمالوه إلى باطلهم، فخطب

في مصر معلناً أنّ المصريين لا يصلحون للاستقلال و لا للحكم الدستوري.

افتتح شوقي القصيدة بتنبيه المستر روزفلت أن يخلع نعله و يخفض طرفه، و يخشع إذا ما هبط قصر أنس الوجود، و ألاّ يحاول التهوين من معجزة الدهر. ثمّ وصف القصر أبدع وصف، وصفه عريقاً ثمّ تحدّث في إعجاب جماله و روعته و ناجاه بذكريات عن مواكب فرعون و ايزيس. (الحوفي، أحمد محمد، ١٩٧٨م، صص ١٧٩ و ١٨٠)

ويقول:

أيها المنتحي بأسوان دارا ... كالثريا تريد أن تنقضّا

اخلع النعل واخفض الطرف واخشع ... لا تحاول من آية الدهر غضّا

قف بتلك القصور في اليم غرقي ... ممسكا بعضها من الذّعر بعضا

مشرفات على الزوال وكانت ... مشرفات على الكواكب نهضا

وهكذا يقول:

أين فرعون في المواكب تتري ... يركض المالكين كالخيل ركضا

أين إيزيس تحتها النيل يجري ... حكمت فيه شاطئين وعَرضا

(شوقي، أحمد، ج٢، ١٩٩٦م، ص٦٥)

وحدة المسلمين والأقباط عند شوقي:

إنما نحن مسلمون وقبطا ... أمة وحّدت على الأجيال

سبق النيل بالأبوة فينا ... فهو أصلُ و آدم الجد تال

نحن من طينه الكريم على الله ... ومن مائه القراح الزُّلال

مرّ ما مرّ من قرون علينا ... رُسُّفاً في القيود والأغلال

وإلى الله من مشي بصليب ... في يديه ومن مشي بهلال

(المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٥)

فهذا نموذج من الشاعر أحمد شوقي و هو احدي آراءوهُ السياسية آنذاك بأنّ المسلمين والقبط أخوة يعيشون معاً ولكن الاستعمار يحاول أن يقذف في قلوب المصريين ما يستطيع

من عداوة و بدأ أحمد شوقي دعوته إلى الوحدة منذ سنة ١٩٠٦م. (الحوفي، أحمد محمد، ١٩٧٨م، ص١٨١).

وفي مكان آخر دعا الجميع إلى أن يتساقوا كئوس الحب، وأن يتناصروا لحماية الوطن ويقول:

تعالوا عسى نطوي الجفاء وعهده ... وتنبذ أسباب الشقاق نواحيا
ألم تك مصرٌ مهدنا ثمّ لَحْدَنا ... وبينهما كانت لكلّ مغانيا؟
ألم تك من قبل المسيح بن مريم ... وموسى وطه نعبد النيل جاريا؟
فهلاّ تساقينا على حبه الهوى ... هلاّ فدينا ضفافا ووادیا
وما زال منكم أهل ودّو رحمة ... وفي المسلمين الخير ما زال باقيا

(شوقي، أحمد، ج٤، ١٩٩٦م، ص٣٩)

وهكذا في قوله أن المسلمين يعلون تعاليم المسيح إكراماً للقبط لأن المسلمين يصدقون بعيسى عليه السلام ويقول:

قد عشتَ تحدثُ للنصاري ألفَةً ... وتُجددّ بين المسلمين وئاما
واليوم فوق مشيد قبرك ميتاً ... وجد الموقف للمقال مقاما
الحق أبلج كالصباح لناضر ... لو أنّ قوما حكموا الأحلاما
أعهدتنا والقبط إلا أمة ... للأرض واحدةٌ تروم مراما؟
نعلي تعاليم المسيح لأجلهم ... و يوقرّون لأجلنا الإسلاما

(المصدر نفسه، ج٣، ص١٥٥)

وطالما دعا إلى التسامح الديني، و قد ذكر بأن الأديان كلها تريد الخير و تتنفر من الشر و قال في سنة ١٩٠٨م:

الدين لله من شاء الإله هدي ... لكل نفس هوي في الدين داعيها
ما كان مختلف الأديان داعيةً ... إلى اختلاف البرايا أو تعاديها
الكتب والرسل والأديان قاطبة ... خزائن الحكمة الكبرى لواعيها

(المصدر نفسه، ج١، ص٦٦)

ويقول في قصيدة أخرى إن الإسلام نسخ اليهودية و المسيحية و كما ينسخ الضياء الضياء، لأنَّ للأخير فضل الكمال و البقاء:

تلـــــك آي الفرقـــــان أرســـــلها الله ضـــــياء يهـــدي بـــه مـــن يشـــاء

نســـخت ســـنة النبـــيين والرســـل كمـــا ينســـخ الضـــياءَ الضـــياء

(المصدر نفسه، ج١، ص٢٨)

## قائمة المصادر والمراجع


١ - اسماعيل، عزالدين: آفاق الشعر الحديث المعاصر في مصر، دار الغريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢- البستاني، بطرس: أدباء العرب في الاندلس و عصر الانبعاث، دار الجيل، بيروت، بلاتا.

٣- خفاجي، عبدالمنعم: قصة الأدب في مصر، دار الجيل، بيروت، بلاتا.

٤- الحوفي، أحمد محمّد: وطنية أحمد شوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

٥- الدسوقي، عمر: في الأدب الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.

٦- الرافعي، صادق مصطفي: وحي القلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٣م.

٧- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ط٢٤، بيروت، بلاتا.

٨- شكيب أنصاري، محمود: تطور الأدب المعاصر، جامعة شهيد چمران، ايران، اهواز، ١٣٧٦، هـ.ش.

٩- شوقي، أحمد: الأعمال الكاملة (الموسوعة الشوقية)، شرح إبراهيم الأبياري، ج١، دارالفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٠- شوقي، أحمد: ديوان الشوقيات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

١١- ضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف، القاهرة، بلاتا.

١٢- ضيف، شوقي: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، القاهرة، بلاتا.

١٣- ضيف، شوقي: الفن و المذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، ط٤، مصر، القاهرة، بلاتا.

١٤- العقاد، محمود عباس: دراسات في المذاهب الادبية و الاجتماعية، مكتبة غريب، مطبعة دار العالم العربي، مصر، القاهرة، بلاتا.

١٥- العقاد، محمود عباس: شعراء وبيئاتهم، ١٩٣٧م.

١٦- العقاد، محمود عباس: مجموعة أعلام الشعر، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٩٧٠م.

١٧- عطوي، فوزي خليل: أحمد شوقي أمير الشعراء، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

١٨- الفاخوري، حنّا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجيل، لبنان، بيروت، ١٩٩٧م.

١٩- الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب العربي ، نشر طوس، طهران، ايران، ١٣٧٧هـ.ش.

٢٠- مبارك، زكي: أحمد شوقي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.